هادي الفقيه... شجرة المانغروف

هادي حسن الفقيه وشجرة المانغروف شقيقان، ولدا في البحر، وسخرا أغصانهما لغيرهما.

هادي المولود في القنفذة، على ضفاف البحر الأحمر، نذر أصابعه منذ نعومة أظفاره للكتابة، فأمسى يراعه بيتا للحرف، أما المانغروف فزرع سيقانه في أعماق المياه المالحة ليصبح منزلا للأسماك المشردة.

يلهث رئيس تحرير صحيفة «لا ستامبا» الإيطالية، جيوليو إنسلمي وراء الصحفيين الذين تدفقوا من البحر مبررا «يأتون طازجين غير مؤدلجين، متحممين بالمياه وغير ملوثين بالمدينة».

هادي الرطب بالحماسة، والحافل بالموهبة، يرجع لغته الصحفية السلسة وعلاقته الوطيدة بالحرف إلى دور والده في تنميته.

كان يحمله على كتفه ويذهبان معا إلى أي أمسية ثقافية أو خطابية في الجوار.

كان يغرسه داخل مكتبته يمزق الكتب تارة، ويرسم على جدران المكتبة وأرفف الكتب بالطباشير وبالأقلام تارة أخرى دون أن يعنفه أو ينهره، بل كان يلتفت نحوه ويبتسم.

كان والده يكافئه عندما يقرأ أي صفحة، وتتضاعف المكافأة عندما يكتب صفحة. قبل أن يكمل التاسعة، فاجأه والده بأنه أرسل الموضوع الذي كتبه عن القنفذة إلى إحدى مجلات الأطفال.

كاد هادي يطير من فرط الفرح بعد أن قرأ موضوعه منشورا وممهورا باسمه. اشترى كل نسخ مجلة ماجد للأطفال التي نشرت المقال في البقالات المجاورة وغير المجاورة. نام تلك الليلة وهو يكتب موضوعه الثاني. منذ ذلك الحين ظل هادي يكتب ويكتب لصفحات القراء. في عام ١٩٩٩ التحق بكلية المعلمين في القنفذة متخصصا في التربية الفنية، استجابة

لرغبة والده الذي كان يريده معلما وليس إعلاميا أو مترجما كما يشتهي.

ظل هادي حزينا حتى شهر مايو عام ٢٠٠٠م عندما انتقل من صفحات القراء إلى صفحات المحليات مراسلا متعاونا لصحيفة الاقتصادية.

حصل على وثيقة التخرج منتصف ٢٠٠٤م. انتظر اسمه مع قائمة المعلمين المعينين. فرح كثيرا لأنه لم يجده وسطهم ليمارس الصحافة هواية وتفرغا، لكن أمه بكت حتى أحس أن الأرض ستغرق وسط دموعها. وبعدها بأيام قليلة حملت الصحف المحلية نبأ تعيينه في مدرسة الوديعة الابتدائية على الخط الحدودي في الربع الخالي بين السعودية واليمن، فكفكف دموع أمه ويمم وجهه شطر الصحراء في رحلة تحدٍّ جديدة.

وكلما داهمه الحزن هناك كان يُذكر نفسه بأن الرحالة والمستشرقين كانوا يضربون أكباد الإبل في سبيل سبر أغوار هذه الرمال المفخخة بالقصص «فلمَ لا أتعظ وأعتبر».

كتب هادي قصصا إنسانية مبتكرة من هناك، وحشدنا حول حرفه.

واصل تألقه وإبداعه من خلال القصص التي يقدمها بهدوء.

في موسم حج ١٤٢٦هـ حاز جائزة أفضل عمل صحفي إنساني، مؤكدا أن المهنية تنتصر ولو بعد حين.

اننقل هادي إلى الرياض وانتقلت قصصه الصحفية الإنسانية إلى الشاشة من خلال برنامج «مشهد»، الذي أذاعته قناة الإخبارية. وقد تحول الحلم إلى واقع عندما التقى أثناء إحدى زياراته لملتقى إعلاميي الرياض في عطلة نهاية الأسبوع بالمخرج فيصل العتيبي وتناقشا في موضوع تحويل القصص الصحفية من الصحافة المطبوعة إلى الصحافة التلفزيونية. حملا هذه الفكرة بعد أن اتفقا على خطوطها العريضة إلى مدير قناة الإخبارية محمد التونسي الذي «شرع أبواب قلبه والقناة لها».

نجح البرنامج وحقق أصداء واسعة. يقول هادي: «لم أكن وفيصل وحدنا في هذا المشروع. فكان خلفه أيضا شابان رائعان هما خالد أبو شيبة، ومبارك العصيمي».

وبعد «مشهد» طلب منه خالد المطرفي الانضمام إلى فريق قناة العربية في بعثة حج ١٤٢٨ منتجاً، وفي ليلة عيد الأضحى نظر إليه وقال «هادي استعد... أنت ستكون على الهواء على

نشرة الواحدة صباحاً». فأضحى العيد عيدين بالنسبة له، وصار مراسلا لقناة العربية.

لم يكن مشوار هادي الصحفي مفروشاً بالأزهار، يقول «بكيت كثيرا، ومزقوا أمامي مواضيعي كثيرا»، لكنه لم يقنط أو يتقهقر.

هادي، الذي يعمل رسميا مديرا للشؤون الإعلامية في مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله للموهبة والإبداع، ومحررا متعاونا مع صحيفة الحياة، ومراسلا تلفزيونيا للعربية يبلغ وزنه ١٧٥ كجم، لكنه يتحرك كريشة، يركض كغزال. تجده حولك ومعك بمعية طموحه وخفة ظله وبياضه.

يتذكر المرة الأولى التي خرج فيها للتنزه مع زوجته على كورنيش جدة «استلت إحداهن هاتفها الجوال. وصوبت عدسة كاميرتها نحونا لتصوير (الجميلة والوحش)». وأكثر موقف أوجع هادي موقف امرأة في إحدى حدائق الرياض العامة حينما كانت تقرأ القرآن، وتركته لتضع يدها على رأسها وتنظر إلى هذا التناقض العجيب بينه وبين زوجته من وجهة نظرها.

وحاول هادي أن يسلم جسده لمبضع الجراح ليخفف من وزنه، إلا أن مستشفى التخصصي في الرياض خذلته بعد أن

سلمته ورقة تعليمات ما قبل العملية بعد عام كامل من المواعيد والفحوص. فقد أبلغته الممرضة في اللحظة الأخيرة أن طبيب التخدير طلب سريراً في العناية المركزة، ولا يوجد سرير، وعليه العودة إلى قوائم الانتظار مجدداً.

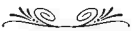

نشر في يوم الجمعة ١١ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ١٦ مايو ٢٠٠٨م

obeikandl.com